

مروان محمود | Marwan Mahmoud*

مفهوم الديمقراطية: دراسة في التحسين والتخلي المفاهيمي لهيرمان كابن

أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2023، ص 244.

The Concept of Democracy: An Essay on Conceptual Amelioration and Abandonment by Herman Cappelen

Oxford: Oxford University Press, 2023, 244 p.

مقدمة

السياسي غالبًا ما يهدف إلى الإقناع والتأثير العاطفي، ولا يُعنى بالحقيقة والصدق والوضوح. وخلال حديثنا، مثلاً، أو مثلما نسمع في خطابات السياسيين، تُستعمل مفاهيم سياسية أساسية غالبًا ما تكون غامضة، وتثير كثيرًا من النزاعات اللفظية والمفاهيمية، وتمنعنا من التفكير بوضوح، بل إنها تكون عرضة للاستغلال السياسي أيضًا، وتساعد الدكتاتوريين، مثلاً، على التلاعب بالجماهير وخداعهم. ويُعدّ مفهوم الديمقراطية، وفقًا لهيرمان كابن (1967-⁽²⁾)، من الأمثلة البارزة الدالة على مثل هذه المفاهيم.

حفّزت هذه الأسباب، وغيرها بطبيعة الحال، كبلن إلى العمل على كتابه مفهوم الديمقراطية: دراسة في التحسين والتخلي المفاهيمي، وهو

يفتح هاري فرانكفورت Harry Frankfurt (1929-2023) كتابه عن الهراء بالجملة التالية: "إن إحدى أبرز سمات ثقافتنا هي أنّ فيها قدرًا هائلًا من الهراء، الجميع يعرف ذلك، وكل واحد منا يساهم في هذا الهراء"⁽¹⁾. ليس من المفاجئ القول إن السياسة تُعدّ بيئة مثالية للهراء، وإن هذه السمة العامة لثقافتنا، وفقًا لفرانكفورت، تنطبق أيضًا على الخطاب السياسي المعاصر. ويمكننا أن نحدد بعض الأسباب لذلك. إنّنا نتعامل في السياسة مع قضايا معقدة تتطلب خبرات وجهودًا مكثّرة لفهمها، ولكنها بالنظر إلى طبيعتها، تفرض على المواطنين والسياسيين أن يتفاعلوا معها، وأن يتحدثوا عنها، وكأنهم يمتلكون فهمًا عميقًا لها، ثم إن الخطاب

(2) فيلسوف نرويجي معاصر. أستاذ فلسفة في جامعة هونغ كونغ. عمل سابقًا في جامعة أوسلو وجامعة أكسفورد. يُعدّ من أبرز الفلاسفة التحليليين المعاصرين، وتركز أبحاثه ومؤلفاته في فلسفة اللغة والميتا-فلسفة والهندسة المفاهيمية وفلسفة الذكاء الاصطناعي والأنس المفاهيمية للخطاب السياسي، والتقاطعات بين هذه المجالات. للاطلاع على قائمة كتبه وأعماله، ينظر في موقعه الإلكتروني: <https://acr.ps/hBy2seG>

* طالب ماجستير في برنامج الفلسفة في معهد الدوحة للدراسات العليا.

Master's student in the Philosophy Program at the Doha Institute for Graduate Studies.

Email: mba005@dohainstitute.edu.qa

(1) Harry Frankfurt, *On Bullshit* (Princeton: Princeton University Press, 2005), p. 1.

الفلسفية أو العملية⁽⁵⁾. لذا، ولمزيد من الدقة، لا يُفهم كتاب كابلن بوصفه عملاً في الفلسفة السياسية، بل بوصفه عملاً في فلسفة اللغة يُعيد من خلاله النظر في مفهوم سياسي مثل الديمقراطية. وإلى جانب اهتمام المشغلين بالإبستمولوجيا وفلسفة اللغة، سيحظى عمله باهتمام الباحثين في مسائل التحول الديمقراطي، والثقافة السياسية، والسياسة المقارنة، ونظرية الديمقراطية، والفلاسفة المهتمين بالمنهجية الفلسفية والعمل على المفاهيم في نطاق النظرية السياسية وخارجها.

يبيّن القسم الأول من هذه المراجعة أطروحة الكتاب الأساسية وبنيتها الحجاجية. وفي القسم الثاني، نعرض حجة المؤلف بمزيد من التفصيل. ويُخصص القسم الثالث من المراجعة للمناقشة النقدية لموقفه وحجته.

أولاً: أطروحة الكتاب وفصوله وبنيتها الحجاجية

يدافع كابلن عن أطروحة مثيرة للجدل؛ إذ يجادل بأنه علينا أن نتخلّى عن كلمتي "ديمقراطية"

كتاب موجّه إلى أولئك المعنيين بفحص المفاهيم والكلمات التي نستعملها عندما نفكر في السياسة، من أجل تحسين تفكيرنا السياسي وجعله أكثر وضوحاً. ويقدم المؤلف، من خلال مشروعه، مساهمة في الأدبيات المنهجية في العلوم السياسية والفلسفة السياسية المهمة بالتحليل والوضوح والمفاهيمي، وتحديدًا النقاشات التي تُعنى بما يسمى "المفاهيم المتنازع عليها جوهرياً" *Essentially Contested Concepts*⁽³⁾، وهي تلك المفاهيم التي تعدّ تعريفاتها والتصورات المختلفة عنها محل نزاع وجدل دائم. ويستند في تلك المساهمة إلى مجال يحظى باهتمام متزايد في السنوات الأخيرة في فلسفة اللغة والإبستمولوجيا، ويُعد من أبرز المساهمين فيه، وهو الهندسة المفاهيمية *Conceptual Engineering*. ويُقصد بهذه الهندسة، باختصار، تقييم مفاهيمنا الحالية وفحصها، وعدم الاكتفاء بوصفها، وذلك قد يؤدي إلى تحسينها أو التخلّي عنها أو استبدالها، لخدمة أهدافنا المنهجية أو

(3) للمزيد بشأن هذه المسألة، انظر:

Walter Bryce Gallie, "Essentially Contested Concepts," *Proceedings of the Aristotelian Society*, vol. 56 (1955–1956), pp. 167–198.

(4) للمزيد، انظر:

David J. Chalmers, "What Is Conceptual Engineering and What Should It Be?" *Inquiry: An Interdisciplinary Journal of Philosophy*, vol. 68, no. 9 (2025), pp. 2902–2919;

خُصص العدد الذي صدرت فيه دراسة تشالمرز المشار إليها لدراسات تناقش قضايا أساسية في مجال الهندسة المفاهيمية. وعربياً، صدرت الترجمة التالية لكتاب ينتمي إلى الأدبيات المعاصرة للهندسة المفاهيمية. انظر: ماثيو كيلو، الأصول العملية للأفكار: الجينالوجيا بوصفها هندسة عكسية مفاهيمية، ترجمة مروان محمود (الرياض: منشورات نادي الكتاب، 2024).

(5) انظر:

Herman Cappelen, *Fixing Language: An Essay on Conceptual Engineering* (Oxford: Oxford University Press, 2018).

ساهم كتاب كابلن هذا، الصادر عام 2018، في ترسيخ حقل الهندسة المفاهيمية بوصفه مشروعاً فلسفياً مستقلاً ومؤثراً في الفلسفة التحليلية المعاصرة، وهو يمثل الخلفية لكتابه اللاحق *مفهوم الديمقراطية*. ويقدم كابلن في الكتاب تحولاً منهجياً مهماً داخل الفلسفة التحليلية. فبدلاً من أن تكون مهمة الفيلسوف اكتشاف المعنى الصحيح للمفاهيم والاكتفاء بالتحليل المفاهيمي فحسب، تصبح مهمته تقييم هذه المفاهيم والسؤال عما إذا كانت تستحق الاحتفاظ بها أصلاً، بل التدخل فيها نقدياً وهندستها أيضاً. ويمكن القول إن هذا الدور المعياري للفيلسوف يُعدّ تصوّراً غير تقليدي في الفلسفة التحليلية.

يقدم تعريفًا للنزعة الإلغائية والحجج المؤيدة لها والأسباب التي تدفعنا إلى التخلي عن بعض المفاهيم. وفي الفصل الثاني، يقدم النظرية العامة للتخلي، ويحدد أربعة أسباب أو حجج تسوّغ التخلي عن مصطلح ما، ويعتبر اجتماع هذه الأسباب الأربعة "الحجة المثالية" The Perfect Argument للتخلي المفاهيمي. ويميّز الفصل الثالث التخلي من مفاهيم قريبة مثل الإزالة والاستبدال والتحسين المفاهيمي، في حين يناقش الفصل الرابع السؤال التالي: كيف نتواصل عندما يتوقف بعض الناس عن استعمال مفهوم ما ويستمر آخرون في استعماله؟ بمعنى آخر: كيف يمكن للإلغائيين Abolitionists أن يتحدثوا مع المحافظين على المفهوم Preservationists؟

يركّز القسم الثاني (الفصلان 5-6) على الاستعمالات الفعلية لكلمتي "ديمقراطية" و"ديمقراطي"، ويبين أنها غير مستقرة وتعاني مشكلات عديدة. ويجادل الفصل الخامس بأهمية التصورات العادية للديمقراطية Ordinary Notions؛ إذ لا يمكن تجاوزه لمصلحة التعريفات التي يفرضها المنظرون، ويبين أهمية هذ التصورات بوصفه محرّكًا من محرّكات التغيير الاجتماعي والثورات والحروب في التاريخ. أما الفصل السادس، فيعرض بيانات تبين التنوع الشديد في استعمال كلمتي "ديمقراطي" و"ديمقراطية"، وغياب التوافق بين الخبراء والناس في معنى المصطلح، إلى جانب التحولات التاريخية والدلالية لكلمة "الديمقراطية".

يُعَدّ القسم الثالث (الفصول 7-9) بالنسبة إلى الكتاب بمنزلة "القلب الحجاجي". وفي الفصل السابع، يطوّر المؤلف حجته الأساسية المتمثلة في أن ألفاظ الديمقراطية تعاني عيوبًا

و"ديمقراطي" (يُسَمَّىها "ألفاظ الديمقراطية" D-words)، وذلك لأن هذه الألفاظ تعاني خللاً دلاليًا ومعرفيًا وتواصلًا عميقًا، يجعل استعمالها غير مفيد فلسفيًا وسياسيًا وتواصلًا. ويعني التخلي عن ألفاظ الديمقراطية التوقف عن استعمالها، مثلاً، في النقاشات العامة، والإعلام، والأكاديميا، والفلسفة، وذلك من أجل تحقيق تواصل أوضح وحجاج أفضل وتفكير أدق. ومقارنة بحجج بديلة أخرى، مثل الإزالة والاختزال والاستبدال والتحسين المفاهيمي، يدافع المؤلف عن خيار التخلي المفاهيمي باعتباره متفوقًا على تلك البدائل؛ لأنه يمثل التعامل الأنسب مع مفهوم الديمقراطية. ويوضح أنه يقدم حجة "ضد استعمال مفهوم الديمقراطية وليس ضد الديمقراطية بوصفها نظام حكم" (ص 4). من هنا، يطوّر الموقف الإلغائي Abolitionism، ومفاده ضرورة التوقف عن استعمال بعض المصطلحات عندما تصبح غير قادرة على أداء وظائفها الدلالية والتواصلية. ويؤسّس، وفقًا لهذا الموقف، نظريته في التخلي المفاهيمي Conceptual Abandonment Theory.

تتكوّن بنية الكتاب الحجاجية من خمسة أقسام مترابطة تتضمن اثني عشر فصلاً، يبدأ فيها المؤلف بتأسيس نظرية عامة في التخلي المفاهيمي، ثم ينتقل إلى تحليل الاستعمال الفعلي لألفاظ الديمقراطية ويطبّق نظريته عليها وينظر في تداعيات ذلك. وبعد ذلك، يدافع عن موقفه، ويقارنه بالبدائل ويردّ على الاعتراضات الممكنة عليه.

في القسم الأول (الفصول 1-4)، يؤسّس المؤلف لنظرية التخلي المفاهيمي. وفي الفصل الأول،

"العملية التي ينبثق من خلالها مفهوم/ تعبير راسخ من حيث التداول؛ إذ يُستعمل التعبير بطريقة أقل، إلى أن يتوقف استعماله كلياً في نهاية الأمر. والتخلي مسألة تتفاوت درجاتها، سواء كان ذلك على المستوى الشخصي أو على مستوى الجماعة اللغوية. فقد أتخلى، أنا شخصياً، عن مصطلح ما على نحو كامل (كما في حالة الشتائم أو الألفاظ المهينة)، أو أتوقف عن استعماله في سياقات معينة فحسب. ثم إن عدد الإلغائيين أو الداعين إلى التخلي داخل جماعة لغوية يمكن أن يتباين بطريقة واضحة؛ فقد أكون وحدي، أو قد تنضم إليّ مجموعة أكبر من المتكلمين" (ص 17).

ومن المهم هنا التمييز بين التخلي Abandonment والاستراتيجيات الأخرى القريبة منه أو المنافسة له، مثل "الإقصاء Elimination والاختزال Reduction والاستبدال Replacement والتحسين Amelioration" (ص 42). ويُقصد بالاختزال تضيق نطاق المصطلح. أما الاستبدال، فهو إحلال مصطلح جديد محل آخر. وأما التحسين المفاهيمي، فيعني - بطريقة عامة - الحفاظ على المفهوم مع معالجة عيوبه، في حين يعني الإقصاء التوقف عن استعمال المصطلح لأنه لم يعد يشير إلى شيء موجود⁽⁷⁾.

يحدّد المؤلف أربعة حجج أساسية لمصلحة التخلي عن أي مفهوم. والحجة الأولى هي حجة عدم التطابق Mismatch، ويعني وجود

(7) لمفهوم الاختزال والإقصاء أهمية في فلسفة العلم والميتافيزيقيا، لكن التمييز بينهما غير واضح، لكن كابلن يجادل بأن التخلي مختلف عنهما بصرف النظر عن التصورات المختلفة بشأنهما. للمزيد، ينظر:

Raphael van Riel & Robert Van Gulick, "Scientific Reduction," in: Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), *Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2019).

دلالية وتواصلية تدفعنا إلى التخلي عنها، وي طرح فرضيتين في هذا الموضوع. ويوضح الفصل الثامن أنه يمكننا أن نحقق ما هو أفضل إذا تخلينا عن الكلمة، لأن لدينا بدائل لغوية ومفاهيمية أدق وأوضح. ويناقش الفصل التاسع تداعيات التخلي عن المصطلح بالنسبة إلى الناس العاديين والمشتغلين بالنظرية السياسية، ومنها أننا سنحظى بنقاشات سياسية أفضل وأقل دوغمائية.

ويختبر القسم الرابع (الفصلان 10-11) البديل المنافس الأبرز، وهو "التحسين المفاهيمي" Conceptual Amelioration. وفي الفصلين، يناقش المؤلف محاولات إعادة تعريف الديمقراطية بطريقة أكثر دقة، منتقداً، مثلاً، تعريفات توماس كريستيانو Thomas Christiano وديفيد إستلند David Estlund⁽⁶⁾، ويجادل بأن هذه المحاولات تؤدي في النهاية إلى نزاعات لفظية جديدة وإدخال افتراضات معيارية في تعريفات تبدو وصفية، وهو ما يسميه "التسلل المعياري" Normative Sneak.

يُخصّص القسم الخامس (الفصل 12) للرد على الاعتراضات التي قد توجه إلى أطروحة الكتاب.

ثانياً: الحجة على نحو أكثر تفصيلاً

يطوّر كابلن نظرية عامة في التخلي عن أي مفهوم، ثم يطبقها على مفهوم الديمقراطية، ويعني التخلي، كما يعرفه، ما يلي:

(6) ينظر، مثلاً:

David Estlund, *Democratic Authority: A Philosophical Framework* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008).

منها المؤلف هي أن كثيراً من النقاشات الفلسفية أو السياسية تبدو كما لو أنها خلافات حقيقية في الوقائع أو الأفكار والقيم. لكنها، فعلياً، ليست إلا خلافات ناتجة من سوء استعمال المفاهيم بمعانٍ مختلفة ومتناقضة فحسب. وعندما يصبح مفهوم ما مصدراً دائماً لهذا النوع من النزاعات، فإن ذلك يزودنا بسبب قوي للتخلي عنه.

ومن المفيد هنا العودة إلى دراسة ديفيد تشالمرز David Chalmers (1966-) "نزاعات لفظية" التي يعبر فيها عن موقف مفاده أنّ عدداً هائلاً من النقاشات الفلسفية قد يكون مبنياً، جزئياً، على نزاعات لفظية، بما في ذلك النقاشات حول الحرية والمعرفة والعدالة والوعي وغيرها⁽⁸⁾. ويستفيد المؤلف من إجراء جادل فيه تشالمرز لكشف النزاعات اللفظية، وهو "منهج الحذف" The Method of Elimination. ويعني منهج الحذف عند تشالمرز إزالة المصطلح المتنازع عليه من النقاش، ثم النظر في الخلاف إن كان استمر أو اختفى. إذا اختفى الخلاف بعد حذف المصطلح، فهذه العلامة دالة على أن النزاع كان لفظياً أساساً. ويرى المؤلف أن هذا المنهج يُقضي إلى نوع من التخلي عن المصطلح، لأن أفضل وسيلة لتجنب النزاعات اللفظية هي التوقف عن استعمال التعبير الذي يولدها، ويُعدّ مصطلح "الديمقراطية" مثلاً دالاً على ذلك.

ينتقل المؤلف إلى الحجة الثالثة، وهي حجة مبنية على العواقب السلبية لاستعمال المصطلح Consequentialist Argument. وفكرة الحجة أن بعض الكلمات مشكلتها لا تقتصر على العيب الدلالي أو التواصلية فيها، بل إن استعمالها نفسه

فجوة بين ما يشير إليه المصطلح أو المفهوم وما يقصده المتحدثون فعلاً؛ إذ قد يكون ماصدق Extension المصطلح أوسع مما يقصده الناس أو أضيق. ويعرض المؤلف البنية الأساسية للحجة كما يلي:

"الماصدق الفعلي للمصطلح (T) هو (E). لكن المتكلمين الذين يستخدمون (T) لا يريدون، عن قصد وتفكير، استخدامه للحديث عن (E)، بل يريدون استخدام (T) للحديث عن شيء آخر" (ص 29).

من أجل فحص هذه الفكرة، يقترح إعمال الاختبار الآتي: "هل هذا ما تودّ الحديث عنه. ويقول في هذا السياق: عندما نوضح للمتكلمين ما يقع فعلاً ضمن ماصدق مصطلح ما، فهل سيقولون إن هذا فعلاً ما يريدون الحديث عنه؟ إذا كانت الإجابة بالنفي بطريقة واسعة، فهذا يشير إلى خلل يمنحنا سبباً للتخلي عن المصطلح. يؤكد المؤلف أن عدم التطابق قد يشكل، على الأقل في بعض الحالات، وليس دائماً، سبباً قوياً لمصلحة التخلي عن مفهوم معين. ويأخذ عدم التطابق شكلين أساسيين، هما:

1. عدم التطابق الناتج من القصور Undergeneration Mismatch، ويعني أن المصطلح يستبعد أشياء يريد المتكلمون الإشارة إليها.

2. عدم التطابق الناتج من الإفراط Overgeneration Mismatch، ويعني أن المصطلح يشمل أشياء لا يريد المتكلمون الإشارة إليها (ص 30).

الحجة الثانية هي حجة "النزاعات اللفظية" Verbal Disputes. والفكرة الأساسية التي ينطلق

(8) David J. Chalmers, "Verbal Disputes," *Philosophical Review*, vol. 120, no. 4 (2011), pp. 515-566.

العناصر الأربعة، ويصير التخلي عن المفهوم خياراً عقلانياً ومسوّغاً.

ينقل المؤلف الاهتمام بمفهوم الديمقراطية، أيضاً، إلى الكيفية التي يستعمل بها الناس ألفاظ الديمقراطية في اللغة العادية Ordinary Language والخطاب العام؛ فالكلمة ليست محصورة في النقاشات داخل النظرية السياسية أو الفلسفة، بل هي مفهوم متجذر تاريخياً واجتماعياً. ولذلك، لا ينبغي "أن تكون النظرية السياسية مثل العلوم البحتة Hard Sciences؛ إذ ثمة ضرورة وأهمية لفهم التصورات العادية التي تشكّل الدوافع والتفكير السياسي عند المواطنين" (ص 65)⁽¹⁰⁾. ويجتهد المؤلف في تجميع بعض البيانات اللغوية الخاصة باستعمال ألفاظ الديمقراطية، من أجل الكشف عن التعقيد والفوضى الكامنين في استعمالهما العادي والنظري، ويخصص لهذا الغرض الفصل السادس كاملاً. وبناءً على ذلك، وفي إطار النظرية العامة في التخلي، يقدم المؤلف فرضيتين أساسيتين بشأن مفهوم الديمقراطية، هما:

1. فرضية انعدام المعنى No-Meaning Hypothesis، وهي تعني أنه لا يوجد معنى لكلمة الديمقراطية.

(10) يجادل كابلن بأن أحد أسباب الاهتمام بالتصورات العادية هو تأثيرها في أنطولوجيا الأشياء الاجتماعية. ينظر في هذا السياق:

John Searle, *The Construction of Social Reality* (New York: Free Press, 1995).

ومن أبرز المشتغلين المعاصرين بالأنطولوجيا الاجتماعية سالي هاسلنغر. ينظر مثلاً:

Sally Haslanger, *Resisting Reality: Social Construction and Social Critique* (Oxford: Oxford University Press, 2012).

يؤدي إلى عواقب معرفية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية ضارة إلى حد يجعل التخلي عنها خياراً عقلانياً. ويشير المؤلف هنا إلى فكرة الإيضاح Explication عند رودولف كارناب Rudolf Carnap (1891-1970)⁽⁹⁾، من أجل بيان كيفية تأثير مفاهيم اللغة العادية على نحو سلبي في بناء نظريات جيدة. ومن ثم، يكون التخلي عنها أو تعديلها ضرورياً لتحسين التفكير النظري نفسه، وينبغي أن ننجز، أيضاً، أمراً مشابهاً بشأن مفهوم الديمقراطية.

تركّز الحجة الأخيرة في نظرية التخلي على أنه يمكننا أن نحقق ما هو أفضل بعد تخلينا عن مفهوم الديمقراطية Can do better، والفكرة أن لدينا أيضاً بدائل لغوية ومفاهيمية أفضل وأكثر دقة وفاعلية. لهذا، يرى المؤلف أن السؤال التقليدي: "هل هذا النظام ديمقراطي؟" هو سؤال سيئ ومضلل في أغلب الأحيان. وبدلاً من ذلك، ينبغي طرح أسئلة أكثر تحديداً، منها مثلاً: هل ثمة انتخابات تنافسية؟ وهل أن للمواطنين قدرة على التأثير السياسي؟ وهل ثمة رقابة على السلطة التنفيذية؟

ومن هنا، يصل المؤلف إلى ما يسميه "الحجة المثالية للتخلي"، فكل حجة من الحجج الأربع السابقة قد تكون وحدها غير حاسمة، لكن عندما تجتمع كلها في مفهوم واحد، تتكون لدينا أقوى حجة ممكنة لمصلحة التخلي عنه. وبناءً على ذلك، يرى المؤلف أن مفهوم "الديمقراطية" يعدّ مثلاً نموذجياً بالنسبة إلى مثل هذا المفهوم الذي تجتمع فيه الحجج الأربع عند اجتماع هذه

(9) للمزيد، ينظر:

Rudolf Carnap, *Logical Foundations of Probability* (Chicago: University of Chicago Press, 1950), p. 3.

عملية ونظرية سيئة. ليس الحل، إذًا، في محاولة تحسين المفهوم، بل في التخلي عنه والتوجه نحو بدائل أدق. ولكن الشاؤم يخص، في هذا السياق، مستقبل مفهوم الديمقراطية نفسه؛ إذ يحافظ المؤلف على التفاؤل بخصوص إمكان الوصول، فرديًا وجماعيًا، إلى تفكير سياسي أفضل وأدق وأكثر عقلانية إذا تخلينا عن الأدوات المفاهيمية السيئة.

ثالثًا: المناقشة النقدية: لم لا نتخلى عن مفهوم الديمقراطية؟

أثار الكتاب بعد صدوره كثيرًا من النقاشات التي لا تزال مستمرة حتى الآن⁽¹¹⁾. ويُعدّ كابن مشهورًا بكونه من الفلاسفة المعروفين بحججهم وأطروحاتهم المثيرة للجدل، ولا شك في أن فكرة التخلي عن مفهوم الديمقراطية تُعدّ صادمة وغير مألوفة. ولمزيد من الدقة، يمكن تمييز موقفين فيما يخص تلقي الكتاب ونقده، هما:

(11) خصّصت المجلة الآسيوية للفلسفة *Asian Journal of Philosophy* قسمًا خاصًا *Book Symposium* ومتواصلًا حتى الآن ضمن أعداد المجلة لتلقي الأوراق النقدية المناقشة لأطروحة كابن. ويشارك كابن نفسه في الردود على الأعمال ضمن هذا القسم. للاطلاع على أهم المساهمات في هذا السياق، ينظر:

D. Belleri, "Awareness as an Alternative to Abandonment? Critical Notice of Herman Cappelen's *The Concept of Democracy*," *Asian Journal of Philosophy*, vol. 4, no. 16 (2025); M. Pinder, "Keep Using 'Democracy' in Political Theory," *Asian Journal of Philosophy*, vol. 4, no. 21 (2025); S. Koch, "Should We Stop Talking about 'Democracy'? Conceptual Abandonment and the Perils of Political Discourse," *Asian Journal of Philosophy*, vol. 4, no. 28 (2025); D. Kazankov, "Why 'Democracy' Is Still a Word Worth Using," *Asian Journal of Philosophy*, vol. 5, no. 5 (2026).

2. فرضية عدم التطابق *Mismatch Hypothesis*، ويعدها المؤلف فرضية بديلة *Backup*، وهي تعني أن الكلمة قد تمتلك معنى، لكن هذا المعنى لا يطابق ما يريد المتكلمون الإشارة إليه (ص 106).

وللدفاع عن الفرضيتين، يطوّر المؤلف تحليلًا لما يسميه "بنية" *KQIE* (*KQIE Structure*)، وهي البنية التي يرى أن أي تصوّر مقبول للديمقراطية يجب أن يحددها، وهي وتتكون من أربعة عناصر: نوع القرارات التي يجب أن تُتخذ بطريقة ديمقراطية *Kinds of Decisions*، وعدد القرارات التي يجب أن تُتخذ ديمقراطيًا *Quantity*، وآليات الإدخال والمشاركة التي تجعل القرار ديمقراطيًا *Input Mechanism*، والإطار المؤسسي أو الثقافي الذي تعمل داخله هذه الآليات *Embedding*. والمشكلة هي أننا عند استعمالنا لكلمة "ديمقراطية"، نفترض ضمنيًا وجود إجابات مستقرة عن هذه الأسئلة، في حين أن الواقع لا توجد فيه أي إجابة مستقرة بشأنها.

ويرى المؤلف أنه لا يمكننا حاليًا الحسم بشأن صحة أي فرضية من الفرضيتين، ولكن يبدو أنه يميل، بحذر، إلى صحة الفرضية الأولى، على الرغم من أنه لا يؤسس مشروعه كلّ على هذه الفرضية من الناحية المنهجية، بل يقدم فرضية بديلة بوصفها خيارًا احتياطيًا أقلّ راديكالية وأكثر قابلية للقبول.

ينتهي المؤلف إلى النتيجة المتشائمة التالية: إن مشروع تحسين مفهوم الديمقراطية أمر ميؤوس منه. لا يحقق مفهوم الديمقراطية أي نجاح دلالي، على مستوى المعنى والماصدق، أو تواصلية، وينتج منه قدر هائل من النزاعات اللفظية والالتباسات المفاهيمية، ويؤدي إلى آثار

يمثل الدفاع عن الحجة مقاومة لما يمكن تسميته "فيتيشية المفاهيمية" Conceptual Fetishism؛ أي التعامل مع بعض المفاهيم كما لو كانت محصنة ضد النقد أو المراجعة، والتمسك بها لاعتبارات قد تكون غير عقلانية. تبدو الردود على الحجة مدفوعة، ضمناً، برغبة في حماية مفهوم الديمقراطية بسبب ثقله الرمزي والتاريخي والمعياري، وليس بسبب وضوحه التحليلي أو دقته بالضرورة. وهذا يفتح الباب لأسئلة أخرى مثيرة للاهتمام تتعلق بأخلاقيات التعامل مع المفاهيم وعلاقتها معها. وتفتح مقاربة المؤلف، أيضاً، مجالاً لمشروع فلسفي أوسع يسميه المؤلف "دراسات التخلي" Abandonment Studies (ص 215)، وهو يُعنى بفحص بنيتنا المفاهيمية، ويدرس احتمال أن تكون لغتنا أو مفاهيمنا في حاجة إلى إعادة تقييم راديكالية، ولهذا عواقب عملية وفكرية مهمة.

2. اعتراضات وردود

أثارت حجة المؤلف اعتراضات مختلفة. ومن أبرزها ثلاثة ردود يمكن تسميتها كما يلي: "اعتراض الاستقرار الدلالي" Semantic Stability، و"اعتراض وظيفة المفهوم التنسيقية" Coordinating Function، و"اعتراض الوعي النقدي والتحسين المفاهيمي" Critical Awareness and Conceptual Amelioration. وإنَّ الفكرة الرئيسة لاعتراض الاستقرار الدلالي هي أن المؤلف يبالغ في افتراض أن على مفهوم الديمقراطية أن يمتلك درجة عالية من الاستقرار الدلالي، وهذا مطلب غير واقعي، لأن المفاهيم السياسية والأخلاقية، مثلاً، تعبر عن ظواهر معقدة، وهي بطبيعتها مفاهيم متنازع عليها. أما اعتراض الوظيفة التنسيقية، فيفترض

1. رفض مقدمات كابلن وتشخيصه لمفهوم الديمقراطية والنتيجة التي وصل إليها بالتخلي عن المفهوم.

2. قبول مقدماته وتشخيصه، ولكن رفض النتيجة الراديكالية بالتخلي عن المفهوم.

لذا، في ظل هذا الرفض العام لحجة المؤلف، تسعى مناقشتي النقدية إلى الدفاع عنها، وبيان ما يمكن أن نكسبه من ذلك. وتنقسم المناقشة إلى ثلاثة محاور أساسية. فالمحور الأول يقدم جواباً عن السؤال: "لِمَ يجري الدفاع عن حجة كابلن؟"، والمحور الثاني يُخصص لعرض ثلاثة اعتراضات على الحجة والرد عليها. أما المحور الثالث، فيُعنى بأهمية أفكار الكتاب في السياق العربي المعاصر.

1. لِمَ يُدافع عن حجة كابلن؟

يبدو الدفاع عن حجة كابلن خياراً غير مألوف، خاصة في ظل الطابع الراديكالي لأطروحاته. إلا أن أهمية مشروعه لا تُفهم في سياق التخلي عن مفهوم الديمقراطية فحسب، بل ينبغي النظر إلى نوع النقد الذي يمكن أن تجلبه مقارنته إلى النظرية السياسية، أو غيرها من المجالات ذات الصلة. لكن الدفاع عما يمكن أن يكون مفيداً في الحجة، التي تعرضت لنقد شديد، لا يفضي بالضرورة إلى التسليم بضرورة التخلي عن مفهوم الديمقراطية بوصفه الخيار الوحيد أمامنا، ولكن السؤال الذي يمكن توجيهه لهذه الانتقادات التي وُجّهت إلى الحجة هو: إنَّ أثبتنا أن مفهوم الديمقراطية يعاني عيوباً وأن ثمة بدائل أفضل، فلم لا نتخلى عنه على غرار أي مفهوم آخر؟ ولماذا نفترض أصلاً أن هذا المفهوم ينبغي الحفاظ عليه بصرف النظر عن عيوبه ومشكلاته؟

كل اختلاف أو تناقض قابلاً للاستيعاب وفقاً لهذه الاستراتيجية. ومن ثم، يفقد المفهوم قدرته التمييزية والتحليلية والتفسيرية. ولا تكفي وظيفة المفهوم التنسيقية لإقناعنا بالاحتفاظ به. وتتحول وظيفته التنسيقية إلى مصدر للتضليل، لأنها تخلق وهم الاتفاق، في حين أنها تخفي الاختلافات العميقة وقد تجنبنا مواجهة المشكلات الحقيقية. ثم إن قدرة كلمة "الديمقراطية" على جمع أطراف متناقضة يعني أنها أصبحت "فضفاضة" إلى حدٍّ يسمح لكل طرف بإسقاط معناه الخاص عليها. فضلاً عن ذلك، ألا يمكن التنسيق سياسياً وجماعياً بمفاهيم أكثر دقة وتحديداً؟ وأخيراً، يواجه اعتراض الوعي النقدي والتحسين المفاهيمي المشكلة ذاتها التي تواجه خيار التخلي المفاهيمي، وهي عدم الواقعية. ويمكن الجدل بأن خيار التحسين المفاهيمي غير واقعي، أيضاً، مثل خيار التخلي، لأن مشكلة المفهوم، كما يبين الكتاب، معقدة ولا توجد استراتيجية واقعية تضمن أن يتبنى الفاعلون السياسيون والأكاديميون تعريفاً محسناً واحداً. وبناءً على ذلك، قد يكون خيار التخلي أسهل وأكثر واقعية من خيار التحسين أو رفع الوعي بمشكلات مفهوم الديمقراطية عند المواطنين.

3. الكتاب في سياق عربي

جرت الإشارة إلى أن الكتاب قد يثير اهتمام الباحثين بقضايا الانتقال الديمقراطي والثقافة السياسية. وللمجالين المذكورين أهمية في السياق العربي⁽¹⁴⁾، وخاصة - كما يشير عزمي

أن لمفهوم الديمقراطية قوة تنسيقية مهمة حتى لو كان غامضاً ومتعدد المعاني. وتكمن قوة المفهوم في غموضه ومرونته، لأنه يسمح ببناء تحالفات واسعة بين أطراف مختلف تتفق على الإطار العام على الرغم من اختلاف تصوراتها أو تناقضها. وهكذا، فإننا نخاطر إذا تخلينا عن المفهوم في خسارة هذا الأفق المشترك وإضعاف إمكانات العمل السياسي الجماعي⁽¹²⁾. ويختلف اعتراض الوعي النقدي والتحسين المفاهيمي مع النتيجة التي تصل إليها حجة المؤلف، ذلك أنها راديكالية أكثر من اللازم. فحتى إذا قبلنا بوجود مشكلات في مفهوم الديمقراطية، فإن الحل الأنسب هو إعادة تعريف المفهوم، أو تحسينه، أو رفع الوعي النقدي باستعمالات مضللة له⁽¹³⁾، وليس التخلي الكامل عنه، الذي يعدّ خياراً غير واقعي.

وعلى الرغم من أهمية هذه الاعتراضات في لفت النظر إلى بعض جوانب الحجة الإشكالية، فإنها لا تنجح بالضرورة في تقويض النتيجة النهائية التي تنتهي إليها. وفيما يخص اعتراض الاستقرار الدلالي، فإن القول بأن مفهوم الديمقراطية، بطبيعته، من المفاهيم المتنازع عليها قد يُستعمل بوصفه استراتيجية لحماية المفهوم من النقد، بصرف النظر عن إشكالياته. فبدلاً من السؤال: هل ظلّ هذا المفهوم واضحاً ومفيداً؟ يصبح

(12) أثار هذا الاعتراض جيسون برينان في مراجعته للكتاب، ينظر:

Herman Cappelen, *The Concept of Democracy: An Essay on Conceptual Amelioration and Abandonment*, Reviewed by Jason Brennan, *Notre Dame Philosophical Reviews*, 3/2/2026, accessed on 25/5/2026, at: <https://bit.ly/4nNS8kN>

(13) أشارت ديليا بيلاري إلى خيار "الوعي الميتالغوي" (Metalinguistic Awareness، بوصفه بديلاً غير مستكشف، وخياراً أفضل من التخلي عن المفهوم.

(14) ثمة اهتمام متصاعد، عربياً، بمجال الثقافة السياسية، وخاصة من المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ينظر: الثقافة السياسية: دراسة من المنطقة العربية وعنها، محمد حمشي (محرر) (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025).

فحسب، بل إنها تتعلق أيضاً بفشل يخص عدم استقرار المفهوم أو وجود تصوّر واضح له، والحاجة إلى عمل لم يُنجز بعد في هذا المجال. ومن هنا، تبرز أهمية النقد المفاهيمي، وعدم الاكتفاء بتبني المفاهيم السياسية؛ إذ لا يقتصر الأمر على فحص النظرية فحسب، بل ينبغي فحص تاريخها وتحولاتها واستعمالاتها وتصوراتها العادية أيضاً، وإذا ما كانت لا تزال تؤدي وظيفة تواصلية وتفسيرية واضحة داخل سياقاتنا. ويعدّ هذا الكتاب حافزاً للباحثين، عربياً، في مجال العلوم السياسية والفلسفة والنظرية السياسية إلى الانفتاح على مثل هذه الأدبيات والاستفادة منها.

ويذكرنا الكتاب بأن أزمة اللغة والمفاهيم تُعدّ جزءاً من أزمتنا السياسية. فالأسئلة المفاهيمية، وفقاً للمؤلف، أسبق من التفكير السياسي وأكثر أساسية منه. وحتى نبدأ التفكير في السياسة، علينا أولاً أن نُجري اختيارات وتفضيلات مفاهيمية، ولكنّ معظمنا لا يعي أننا نفعل ذلك، ونستعمل الأدوات المفاهيمية التي قد نحصل عليها من السلطة أو المجتمع أو من سياقات مختلفة، مثلاً، من دون فحص أو نقد، وقد يعبر هذا عن موقف غير مسؤول. لذا، ينبغي أن يبدأ تفكيرنا السياسي الجاد، كما يبيّن الكتاب، بفحص نقدي لأدوات التفكير والكلام.

بشارة - "لأن النظام الديمقراطي هو المطروح، عربياً أيضاً، بديلاً عن الأنظمة القائمة، وقد تطلعت إليه الشعوب خلال الثورات المتواصلة في البلدان العربية منذ 2011"⁽¹⁵⁾. وقد أشار بشارة، في أكثر من عمل له، إلى أن مفاهيم من قبيل الديمقراطية والمجتمع المدني والدولة، مثلاً، وغيرها تشكّلت داخل تاريخ اجتماعي وسياسي محدد، وأنها ترتبط بشروط ثقافية ومؤسسية وصراعات تاريخية معينة، ويتنقد عدم الحساسية المتعلقة بالسياقات المختلفة. فمن إشكاليات الاشتغال بهذه الحقول في العالم العربي "أن المصطلحات والمفاهيم تصل إلينا جاهزة للتفكير والتطبيق، بينما هي مستمدة من الواقع الغربي تحديداً"⁽¹⁶⁾، أو من سياقات مختلفة.

بناءً على ذلك، تساعدنا أطروحة المؤلف على رؤية جانب إضافي من إشكالية "الانتقال الديمقراطي" والتفكير في الديمقراطية في العالم العربي أو حتى جودة الخطاب السياسي. ويعدّ ذلك جزءاً من إشكالية أكبر تتعلق بالمفاهيم؛ فالأزمة لا تتعلق بفشل سياسي ومؤسساني

(15) عزمي بشارة، الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 19.

(16) المرجع نفسه، ص 27.

References

المراجع

العربية

بشارة، عزمي. الانتقال الديمقراطي وإشكالياته: دراسة نظرية وتطبيقية مقارنة. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

الثقافة السياسية: دراسة من المنطقة العربية وعنها. محمد حمشي (محرر). الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025.

كيلو، ماثيو. الأصول العملية للأفكار: الجينالوجيا بوصفها هندسة عكسية مفاهيمية. ترجمة مروان محمود. الرياض: منشورات نادي الكتاب، 2024.

الأجنبية

Belleri, D. "Awareness as an Alternative to Abandonment? Critical Notice of Herman Cappelen's *The Concept of Democracy*." *Asian Journal of Philosophy*. vol. 4, no. 16 (2025).

Cappelen, Herman. *The Concept of Democracy: An Essay on Conceptual Amelioration and Abandonment*. Reviewed by Jason Brennan. *Notre Dame Philosophical Reviews*. 3/2/2026. at: <https://bit.ly/4nNS8kN>

_____. *Fixing Language: An Essay on Conceptual Engineering*. Oxford: Oxford University Press, 2018.

Carnap, Rudolf. *Logical Foundations of Probability*. Chicago: University of Chicago Press, 1950.

Chalmers, David J. "Verbal Disputes." *Philosophical Review*. vol. 120, no. 4 (2011).

_____. "What Is Conceptual Engineering and What Should It Be?" *Inquiry: An Interdisciplinary Journal of Philosophy*. vol. 68, no. 9 (2025).

Estlund, David. *Democratic Authority: A Philosophical Framework*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2008.

Frankfurt, Harry. *On Bullshit*. Princeton: Princeton University Press, 2005.

Gallie, W. B. "Essentially Contested Concepts." *Proceedings of the Aristotelian Society*. vol. 56 (1955–1956).

Haslanger, Sally. *Resisting Reality: Social Construction and Social Critique*. Oxford: Oxford University Press, 2012.

Kazankov, D. "Why 'Democracy' Is Still a Word Worth Using." *Asian Journal of Philosophy*. vol. 5, no. 5 (2026).

Koch, S. "Should We Stop Talking about 'Democracy'? Conceptual Abandonment and the Perils of Political Discourse." *Asian Journal of Philosophy*. vol. 4, no. 28 (2025).

Pinder, M. "Keep Using 'Democracy' in Political Theory." *Asian Journal of Philosophy*. vol. 4, no. 21 (2025).

Searle, John. *The Construction of Social Reality*. New York: Free Press, 1995.

van Riel, Raphael & Robert Van Gulick. "Scientific Reduction." in: Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.). *Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2019).